جلايلية صبيحة

المحاضرة التاسعة : قضية المنظوم والمنثور:

إن الحديث عن المنظوم والمنثور في التراث النقدي العربي، يدفعنا إلى ضرورة الحديث عنها من جملة العناوين الهامة التي كانت حاضرة في التنظير النقدي العربي القديم .

أيهما أسبق في الظهور ؟

حاول النقاد العرب القدامى البت في تلك الإشكالية المتمثلة في أيهما أسبق في الظهور، الشّعر أم النثر؟ بالرّغم من أن الإجابة، حتى ولو كانت حاسمة. لا تقدم ولا تؤخر في حقيقة أن الأدب في النهاية قائم على ركيزتي الشعر والنثر.

حاول النقاد العرب القدامى البت في تلك الإشكالية المتمثلة في أيهما أسبق في الظهور، الشّعر أم النثر؟ بالرّغم من أن الإجابة، حتى ولو كانت حاسمة. لا تقدم ولا تؤخر في حقيقة أن الأدب في النهاية قائم على ركيزتي الشعر والنثر.

وممن حاول الإجابة على هذا السؤال، نجد كلا من عد الكريم النهشلي(ت 403 هـ)، و أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني(ت 403 هـ)، فأما النهشلي،فيرى أن " أصل الكلام منثور"

[1]، و أما الباقلاني، فيتفق مع هذا الرأي في أسبقية النثر، و أن النثر حينما سمعوا الشّعر **:" استحسنوه واستطابوه، ورأوا أنّه تألفه الأسماع وتقلبه النفوس، تتبعوه من بعد وتعلموه "**[2]

المفاضلة بينهما :

اهتم النقاد العرب القدامى بقضية المفاضلة بين المنثور أيما اهتمام، وانقسموا إلى قسمين، انحاز كل منهما إلى أحد الجنسين :

القسم الأول: يتمثل فيمن فضل النثر على الشعر، ومن رموز هذا القسم نجد الجاحظ الذي قال**:" وكان الشّاعر أرفع قدرا من الخطيب، وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم، فلمّا كان الشّعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشّاعر "**[3] ، وقبل **الجاحظ** قال **أبو عمرو بن العلاء :" كان الشّاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشّعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم، فلما كثر الشّعر والشّعراء، واتّخذوا الشّعر مكسبة ورحلوا إلى السّوقة وتسرعوا إلى أعراض النّاس صار الخطيب عندهم فوق الشّاعر"**[4]

ويقدم **المرزوقي** ثلاثة أدلة على أفضلية النثر على الشّعر:

الأول : أن ملوك العرب **" قبل الإسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتتان بها، ويعدونها أكمل أسباب الرياسة، و أفضل آلات الزعامة"**[5]

الثاني:" أنّهم اتّخذوا الشّعر مكسبة وتجارة، وتوصلوا إلى السّوقة كما توصّلوا إلى العلية، وتعرّضوا لأعراض النّاس، فوصفوا اللئيم عند الطّمع فيه بصفة الكريم، والكريم عند تأخّر صلته بصفة اللئيم"[6]

الثالث : " لما كان زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- زمن الفصاحة والبيان، جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يولعون به و بأشرفه فتحدّاهم بالقرآن كاملا منثورا لا شعرا منظوما "[7]

القسم الثاني : يمثل المدافعين عن الشّعر عن عدد كبير من النقاد القدامى، **كالمبرد** الذي يرى فضل الشعر لا ينكر، لأن شروط البلاغة إذا ما توفرت في الشعر والنثر معا، فإنّ الشّاعر أفضل **" لأنّه أتى بمثل ما أتى به صاحبه، وزاده وزنا و قافية "**[08]

وقدم **ابن رشيق القيرواني** مجموعة من الأدلة على فضل الشعر على النثر ومنها:

- أنّ الشعر يمتاز بنظمه، فشتان مابين المنظوم والمنثور**" لأنّ كلّ منظوم أحسن من كلّ منثور من جنسه في معترف العادة، ألا ترى الدّر وهو أخو اللّفظ ونسيبه و إليه يُقاس وبه يشبّه، إذا كان منثورا لم يؤمن عليه ولم ينتفع به الباب الذي له كسب، ومن أجله انتخب، و إن كان أعلى قدرا عليه وأغلى ثمنا، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال و أظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال، وكذلك اللّفظ إذا كان منثورا تبدد في الأسماع وتدحرج عن الطّباع، فإذا أخذه سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته وازدوجت فرائده "**[09]

---

[1]- أبو عبد الكريم النهشلي القيرواني: الممتع في صنعة الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 11.

[2]- الباقلاني: إعجاز القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط،دت، ص 118.

[3]- الجاحظ: البيان والتبيين، ج4،ص83.

[4]- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1،ص 241.

[5]- أبو علي محمد بن محمد المرزوقي: شرح ديوان الحماسة،ج1، ص 16.

[6]- أبو علي محمد بن محمد المرزوقي: شرح ديوان الحماسة،ج1، ص 17.

[7]- أبو علي محمد بن محمد المرزوقي: شرح ديوان الحماسة،ج1، ص 17.

[08]- الكلاعي: أحكام صنعة الكلام، تح: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت،لبنان،ط6، 1981، ص 542.

[09]- ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشّعر ونقده، ج1، ص4-05.